ملخص من كتاب :

الحروب الحاسمة فى التاريخ

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

[من (أحاديث القهوة) حديث دار بيننا من هزيمة ألمانيا الكبرى فى الحرب الماضية وأسبابها الظاهرة والباطنة ؛ فقال الأستاذ السلحدار — ومن عادته أن يجعل لكل حديث نتيجة — إنه قرأ فى هذا الموضوع كتابا له قيمة وفيه ثقة ؛ ثم لخص لنا رأى المؤلف فكان فصل الخطاب ومقطع الحكم . فرغبت إليه أن يكتب هذا التلخيص لقراء الرسالة فكتبه الأستاذ لنوّه من غير تنقيح ولا مراجعة]

فى سنة ١٩٣٣ نشر پايو Payot كتاباً اسمه «الحروب الحاسمة فى التاريخ» Les Gueres Décisives de l'Histoire ومؤلفه هو الكبتين ب . هـ ليدل هرت Capitaine B. H. Liddell Hart الكاتب العسكرى للانسيكلوپيدية البريطانية Military editor of the New Encyclopaedia Britannica ، وترجمته الفرنسية هى لكل من ميرا والكلونيل فنلونج B. Mayra et le Lt Colonel de Fonlongue

قال المؤلف : إن موضوع الكتاب والغرض من وضعه وقيمته هى أمور لم تتعين فى ذهنه تعيناً دقيقاً إلا شيئاً فشيئاً ، وعلى ترتيب وسياق هما دون المعتاد فى إعداد كتاب . ذلك بأن فكرته الأصلية إنما كانت أن يستخلص الجوهر من مطالعات واصلها عدة سنين ، ومن خواطر ألهمته إياها هذه المطالعات . ولقد جاء كتابه خلاصة مكثفة من ملاحظاته التى دونها فى أثناء دراسته لكل من تلك الحروب الحاسمة

وقال إنه أتم أول وضع لكتابه من غير أن يُدخل فيه نظرة فى عوامل الحرب الكبيرة الماضية وفيما بين هذه العوامل من علاقات ونسب ؛ وقد علل ذلك بأن الاعتماد على أسانيد وافرة أخذاً عن وثائق المحفوظات وعن الشهادات الشخصية كان يومئذ أمراً ممكناً ، لكنه اعتقد أن الجو كان لم يزل مشحوناً بكهرباء المجادلات العلنية بسبب ما تدور عليه من المصالح الخاصة ؛ وتلك حال يصعب فيها التجرد من الشهوات لقبول حكم فى الموضوع . وكان هو شديد الرغبة فى ألا يضعف مثل هذا الجو ما اعتبره درساً صادقاً حيوى الأهمية استنبطه من الماضى لينفع فى المستقبل ، إذ كان غرضه من التأليف هو فى الواقع تنشيط بحوث تجرى بروح علمى لا إذكاء نار الجدل . كان يريد بما استنبطه من خبرة العالم القديم والعالم الحديث أن يمكن القارئ من الاهتداء إلى الدروس التى أتت بها حرب سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ . غير أن أصدقاء ونقاداً بصراء عرض عليهم أول وضع للكتاب حثوه على أن يدخل فيه بعض نظرات فى تلك الحرب تصل بين خبرة الماضى وخبرة العصر على النظام الذى تقتضيه طبيعة ملاحظات المؤلف ، محتجين لنصيحتهم بأن الطلبة قد أتيح لقليلين منهم الفرصة والوقت للتعمق فى أكداس المواد التاريخية

فالكتاب أبحاث استراتيجية فى الحروب الحاسمة ، مهّد لها مؤلفه بفصل فى التاريخ من حيث هو خبرة عملية ؛ ثم بحث فى حروب اليونان (إپبا مينونداس Epaminondas ، وفيليب Philippe ، والاسكندر Alexandre) ، فحروب رومة (هنيبال Annibal ، وسبيون Scipion ، وقيصر Cesar) ، فحروب القرون الوسطى ، فحروب القرن السابع عشر (جستاف أدلف Gustave-Adolphe ، وكروموبل Cromwell ، وتُرين Turenne) ، فحروب القرن الثامن عشر (مَرلبورو Mariborough ، وفردريك الثانى Frédéric II) ، فحروب الثورة الفرنسية (نابليون) ، فحرب القرم وحرب سنة ١٩١٤

* * *

يريدون بكلمة استراتيجى stratégie فى اللغة الفرنسية باباً من الفن العسكرى يتعلق بخطط قيادة الجيوش إلى حيث تلاق جيوش العدو . ويعنون بكلمة تكتيك tactique فن ترتيب الجنود واستعمالها فى القتال

وقد ذهب المؤلف إلى أن هذين التعريفين ضيّقا النطاق ، وأن التكتيك والاستراتيجى متداخلان . وأن هناك الاستراتيجى العادية والاستراتيجى الكبرى وهى تشمل السياسة العامة للحرب سواء أدارت فى ميدان أم فى ميادين ، وأن هذه السياسة يضعها ويديرها الحكام المدنيون ؛ أما القواد العسكريون — خصوصاً فى البلاد الديموقراطية — فعليهم حسن استعمال وسائل القتال لتحقيق أغراض السياسة . وفيما يلى خلاصات من بعض فصول الكتاب . قال صاحبه :

١ — رجال العسكرية فى العالم يعترفون جميعاً بصدق قول نابليون

فى الحرب : « إن نسبة الحال النفسية إلى الحال المادية كنسبة ثلاثة إلى واحد » فى الحرب

Le moral est au physique comme trois est à un.

وقد لا يكون لهذه النسبة أية أهمية فى الحقيقة إذا اجتزئ بالنظر إلى قيمتها الحسابية ، لأن المستوى النفسى le moral يميل إلى الهبوط عند عدم كفاية السلاح ، وأى نفع يكون لأشد الإرادات ثباتاً فى جسم هامد ؟

لكن لهذه الحكمة قيمتها على الدوام ، وإن كان العامل النفسى والعامل المادى متلازمين ، وكان كل منهما لا ينقسم ، لأنها عبارة عن أن العوامل النفسية هى المرجحة فى جميع الأعمال العسكرية الحاسمة ؛ فإنها عليها وحدها تتوقف باطراد نتيجة المعركة ونتيجة الحرب ؛ وفى التاريخ العسكرى هى وحدها العوامل التى توجد على قليل من الاختلاف فى جميع مسائل الحرب ، فى حين أن العوامل المادية تختلف فى كل موقف تقريباً وفى أثناء كل حرب . ويمكن أن يصاغ معنى تلك الحكمة فى أسلوب أقرب إلى التعبير العلمى فيقال : إن قوة بلاد العدو تشبه أن تكون قائمة على عدد العسكر وعلى المصادر المادية على حين أن العساكر والمصادر متوقفة توقفاً جوهرياً على اعتدال القيادة équilibre وعلى حال الجيش النفسية وعلى المؤن .

٢ — الاقتراب المباشر approche directe هو قيادة الجيش إلى ملاقاة الجيش المعادى الأساسى رأساً والهجوم على قلبه طلباً لنتيجة حاسمة ، ولم ينتج هذه النتيجة إلا فى النادر عند التفاوت العظيم بين الجيشين . أما الاقتراب غير المباشر approche indirecte فهو الاقتراب بحركات الالتفاف عن بعد والهجوم على جوانب الجناحين ، أو فى الميدان البعيد عن الجيش الأساسى عند تعدد الميادين ، وهو الذى جاء بالنتيجة الحاسمة فى كل حرب تقريباً

٣ — والحصر ، بحرياً كان أو برياً ، يمكن عده من أعمال الاقتراب غير المباشر والاستراتيجى الكبرى ؛ وقد كانت الدول الوسطى فى آخر سنة ١٩١٧ تعانى شدته القاسية . وهذا الضغط الاقتصادى هو الذى خدع الألمان وحملهم فى سنة ١٩١٨ على هجومهم العسكرى فى الميدان الغربى (إقتراب مباشر بالنسبة إلى سائر الميادين)

إن فرنسا فى سنة ١٩١٤ حاربت بخطة حربية اشتهرت باسم الخطة رقم ١٧ تم وضعها بعد تعيين جوفر رئيساً لهيئة أركان الحرب العامة سنة ١٩١٢ ، وهى الهجوم السريع المفاجئ على قلب الجيش الألمانى رأساً بالاقتراب المباشر ، ومن الغريب أن هذه الخطة كانت مستلهمة من آراء القائد الألمانى فون كلوزويتز von Clausewitz فى حين أن الخطة الألمانية التى وضعها الكونت شليفن Schlieffen سنة ١٩٠٥ كانت قريبة إلى آراء نابليون . فكانت الخطة الفرنسية خير ما ساعد فون شليفن على تحويل الخطة الألمانية الأصيلة إلى طريقة الاقتراب غير المباشر من غرب بلجيكا . ومحل المهارة الحقيقية الدقيقة التى جعلت هذه الخطة اقتراباً مباشراً هى الفكرة المتبعة فيها فى توزيع القوات على أقسام الجيش : ٥٣ فرقة للمفاجأة الأولى والصدمة من بلجيكا ، وعشر فرق لتكون محوراً أمام فردان Verdun تدور عليه تلك الكتلة ، وتسع فرق فقط للجناح الأيسر من الجبهة الألمانية على طول الحدود الفرنسية فيما يلى فردان من الشرق إلى الجنوب . غير أن مولتك Moltek عدّل فى تلك الخطة من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩١٤ إذ قوى الجناح الأيسر تقوية لم تحفظ النسبة بينه وبين الجناح الأيمن الذى كان معداً للتقدم من بلجيكا وأبعد الطريق المختار لهذا الجناح عن البحر ؛ ثم لم يزل يقوض بتعديلاته أسس الخطة فى الميدان حتى انهارت وعدل عنها آخر الأمر فى ٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ (معركة المارن الأولى ٥ — ٩ سبتمبر سنة ١٩١٤) . ومن تعديلاته أنه أجاب على تحدى الفرنسيين عند قيامهم بالهجوم المباشر فى أغسطس سنة ١٩١٤ ، وحاول إحداث معركة حاسمة فى اللورين فجنح بذلك إلى الاقتراب المباشر

ولو أن ألمانيا — بعد معارك المارن فى سنة ١٩١٤ وحتى بأخرة عنها — اتبعت سياسة حرب دفاعية فى الغرب هجومية فى الشرق (اقتراب غير مباشر) لجاز أن تختلف النتيجة : إذ ليس يوجد غير أسباب واهية كانت تحمل على الظن بأن جهود الحلفاء — فى هذه الحالة — كانت تصل إلى أكثر من حمل ألمانيا على النزول عن بلجيكا وشمال فرنسا مقابل احتفاظها ، غير مدافعة ، بتفانيها فى الشرق . أما فى سنة ١٩١٨ فإن الفرصة كانت قد فاتتها وكان جلدها الاقتصادى قد تأثر تأثراً خطراً . ذلك هو الموقف الذى كانت فيه ألمانيا سنة ١٩١٨ حين بدأت هجومها الأخير فى الميدان الغربى

نظر المؤلف فى معارك الميدان الغربى إلى إبريل سنة ١٩١٨ ثم قال :

أصبحت فكرة فوش الموجهة لقيادته أن يحتفظ بالقدرة على ابتداء الأعمال الحربية غير مسوق فى المحاربة بعمل العدو garder l'initiative ، وألا يدع له سبيلاً إلى الراحة فى ذلك الوقت الذى فيه كانت القوات الاحتياطية تتجمع لديه هو . وكان أول عمل قام به هو تخليص السكك الحديدية على جوانب جيشه وذلك بسلسلة من الهجمات المحلية

فقام هيج Haig بالهجمة المحلية الأولى فى ٨ إبريل سنة ١٩١٨ تجاه أميان Amiens ، وقد ضاعف ذلك جيش رولنسن Rawlinson باحتياطات وحيل ماهرة من حيث لم يشعر الألمان . ولعل هذه الهجمة — التى قادها ٤٥٠ دبابة — كانت أتم مفاجأة وقعت فى هذه الحرب ، وقد كفت لإفساد الاعتدال النفسى équilibre moral فى القيادة العليا الألمانية ، وأشعرت لودندورف Ludendorff بهزيمة جنوده المعنوية حتى حملته على التصريح بأن الصلح لن يمكن الوصول إليه إلا بالمفاوضة . وقال : إنه ربما يتيسر ذلك يجب أن يكون هدف ألمانيا الإستراتيجى شلّ إرادة العدو الحربية شيئاً فشيئاً بدفاع إستراتيجى ! !

تلاحقت الهجمات حتى عرقلت خطة لودندورف ، إذ لم يبق فى وسعه أن ينقل جنوده الاحتياطية بسرعة تمكنه من سبق ضربات الحلفاء ومنعها ، واستمر النقصان فى هذه الجنود بنسبة كانت فى مصلحة الحلفاء ؛ وقد سمحت هذه الخطة للحلفاء مدة — على الأقل — بأن يستمروا فى التقدم وأن يضعفوا المقاومة الألمانية بالتدريج على نسبة النقصان العددى والخور النفسى فى القوات الألمانية . ونظراً إلى هذا الانحطاط ، وإلى تأكيد هيج أنه يستطيع اختراق خط هندنبرج قرر فوش أن يقوم بهجوم عام فى آخر سبتمبر . وكان من نتائج هذا الهجوم أن جلا الألمان عن الأراضى التى احتلوها بهجومهم سنة ١٩١٨ ، وأن ارتدّت جبهتهم الغربية كلها ، وأتيح لهم تقصيرها وتعديلها بتضحية ساقة الجيش فى تقهقره

فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ — وهو يوم الهدنة — كانت القوات الألمانية التى دفعها الهجوم العام آمنة فى جبهتها المعدّلة ، وكان الحلفاء الزاحفون فى وقفة لم تكن يومئذ بسبب مقاومة العدو بقدر ما كانت لصعوبة تموين الجيوش فى منطقة أعملتها الحرب وخرّبتها

لم يكن للهجوم العسكرى فى طوره الأخير إلا أهمية ثانوية ؛ لكن الصدمة المعنوية التى أصابت القيادة الألمانية بفعل المفاجأة الأولى التى قام بها هيج بدباباته يوم ٨ أبريل سنة ١٩١٨ فى بدء الهجوم ، تلك الصدمة قد أكملتها الحرب فى ميدان بعيد وقعت فيه حركة اقتراب غير مباشر ، جعلت الصدمة قاتلة : ذلك أن هجوم الحلفاء من (سلانيك) هو الذى أدّى إلى هذه النتيجة ، فإن العدو لم يستطع أن يمنع تقدم الحلفاء على جناحه ، إذ لم يتمكن من جلب جنوده الاحتياطية بسرعة كافية بسبب بطء حركاته فى تلك الجبال . وقد طلب البلغار الهدنة إذ انقطع جيشهم قطعتين وهم متعبون من الحرب . وهذا الفوز الذى أحرزه الحلفاء أخرج من ميدان البلقان البعيد أهم نصير فيه للدول الوسطى ، وفتح الطريق لتفجُّر الجنود المتحالفة على النمسا من خلف . ولقد تعيّن هذا الخطر المهدد عند نجاح هجمة إيطالية على الجبهة النمسوية المنهوكة القوى النفسية والمادية ، لأن تسليم النمسا فى الحال أمر جعل للحلفاء إمكان التصرف فى أرضها وسككها الحديدية ، واتخاذ قواعد فيها لأعمال حربية ضد ألمانيا من بابها الخلفى . وكان الجنرال جلوز Gallwitz قد صرّح للمستشار الألمانى — منذ سبتمبر — بأن ما كان من ذلك محتملاً وقوعه يومئذ يكون حاسماً إذا هو وقع فعلاً . فهذا الخطر المهدد وهو الدخول من الباب الخلفى ، والتأثر النفسى المتفاقم من وقع الحصر — الذى هو اقتراب غير مباشر فى الاستراتيجى الكبرى — حصر شعب جائع ضائع الأمل ، هما أمران كانا مهمازين دافعين للحكومة الألمانية انتهيا بها إلى التسليم

فى الطور الأخير من هجوم الحلفاء العام ، قام هيج فى ٢٩ سبتمبر بهجمة على خط هندنبرج كانت أخبارها الأولى مقلقة للألمان . ويومئذ قررت قيادتهم العليا فجأة أن تطلب الهدنة زاعمة أن انهيار بلغاريا قلّب كل ترتيباتها : إذ كانت قد اضطرت إلى أن ترسل إليها جنوداً أُعدّت أولاً للميدان الغربى ، وهذا تصرّف كان قد غيّر الموقف تغييراً أساسياً بسبب الهجمات التى وقعت فى الوقت نفسه على الجبهة الغربية ؛ وهى هجمات وإن أمكن صدها إلى ذلك الحين ، يجب أن يتوقع الألمان استمرارها ،

تلك هى الحال التى فيها دُعى البرنس ماكس إلى تولّى وظيفة مستشار الامبراطورية ليبدأ المفاوضة فى الصلح ، وسبب اختياره لذلك هو شهرته الدولية بالاعتدال والأمانة

وقد طلب البرنس إمهاله عشرة أيام ، أو ثمانية أو حتى أربعة ليساوم مساومة مفيدة من غير اعتراف بالهزيمة قبل أن يفاتح العدو رأساً . لكن هندنبرج كرر بصراحة قوله « إن خطورة الموقف العسكرى ليس يمكن معها أى تأجيل » وشدّد فى « أن يعرض الصلح على الأعداء فى الحال » ، فأرسل طلب « الهدنة فى الحال » إلى الرئيس ولسن يوم ٣ أكتوبر

وقد تضمّن طلب « الهدنة فى الحال » اعترافاً واضحاً بالهزيمة . وكانت القيادة العليا قد اجتمعت برؤساء جميع الأحزاب السياسية فى أول أكتوبر ، وأعدتهم من شعورها هذا فقوضت بذلك دعائم جبهتها الداخلية الخاصة قبل إرسال طلب الهدنة إلى الحلفاء بيومين : لأن هذا النور الفجائى أعمى رجالاً طال إبقاؤهم عمداً على جهل الأمور وحرّك دعاة السلام وكامن قوى الخلاف جميعها . وقد قامت الثورة فى ألمانيا يوم ٤ أكتوبر ، أى بعد إرسال الطلب بيوم ، وانتشرت فى أنحاء البلاد ، فاستقال البرنس ماكس فى ٩ نوفمبر وسلم مقاليد الحكم إلى إبرت Epert الاشتراكى

حقاً إن لودندورف هدأت نفسه بعد ٢٩ سبتمبر بمدة ، حين اطلع على تقارير تخبره أن الحلفاء خففوا هجماتهم . ولم يرجع عن طلب الهدنة ولكنه كان يريدها لإراحة الجنود ، بل شعر فى ١٧ أكتوبر أن هذه الإراحة قد يمكن الاستغناء عنها ، وذهب إلى أن تصوره للموقف فى ٢٩ سبتمبر كان أسوأ من الحقيقة الواقعة

لكن شعوره الأول كان قد ذاع أمره فى الدوائر السياسية والجمهور الألمانى ، وكانت الأمة قد تحطمت قوة إرادتها وفقدت الثقة بالقيادة العامة . وفى ٢٣ أكتوبر أجاب الدكتور ولسن على المذكرة الألمانية إجابة كانت فى حكم طلب التسليم بلا قيد ولا شرط ، فاضطر لودندورف إلى الاستقالة فى ٢٦ أكتوبر

والنظر فى تاريخ مئة اليوم الأخيرة من تلك الحرب يبين صحة الدرس القديم قدم العالم : ذلك أن الغرض الحقيقى فى كل حرب هو إصابة عقلية mentalité رؤساء العدو لا أجسام عساكره ؛ ويبين أن صدمة المفاجأة والشعور بالعجز عن درء الأعمال الاستراتيجية المحتملة هما اللذان أوهيا قوى لودندورف المعنوية أكثر مما أوهاها فقده الجنود والمدافع والأراضى .

محمد توفيق السايح

وحى الأحاديث المحمدية

بقلم الأستاذ محمود على قراعة المحامى

كتاب قيم أخذت مادته من كتب أحاديث السنة المشهورة التى جمعها الشيبانى فى كتابه (تيسير الوصول) أراد به مؤلفه أن يبين القارئ المعانى الاسلامية النبيلة الواجب على المسلم معرفتها ، ويلخص له مناحى السمو الروحى النبوى التى ينبغى له الوقوف عليها ويضع أمامه بالكلام عن الأحاديث المختارة صورة واضحة الفيض المحمدى الذى يمد من اتبعه ويضرب له الأمثال فى شؤون الحياة بما فعله النبى (صلعم) أو قاله فيها ، تكلم فيه عن مولد النبى وصفاته وأخلاقه وعلامات نبوته ومعجزاته وحديثه عن الأنبياء السابقين وعن أصحابه وبره بأهله وأدعيته ومزاحه وحبه للجمال وكراهيته للتصوير وهجرته وحبه ووفاته وختمه ببحث عن كيف نستنير بسيرته وكيف نفهم الأسراء وعن كيفية المعراج بالروح والجسم وكيفية رؤية النبى ربه الخ . . .

٥٦٠ صفحة ورق تام ثمنه ١٥ قرشا والبريد ٤ قروش

يطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد على بمصر

الأنصار

يقدمها أنصار الثقافة الاسلامية

صدر العدد التاسع وهى موضوعاته :

المتفرعنون والاسلام	تضييق . . . : بقلم معلم الزاى
الأغنياء الفقراء	فى مجاهل وزارة المعارف ...
النظريات العلمية فى القرآن ...	العرب والبحث العلمى .. ...
الأزواج	صور من الحياة	ذكرى من الحروب الصليبية
السعداء	فى روسيا الاسلامية	حكايات ومعلومات ... ...

المكاتبات بعنوان « الأنصار » شارع البستان رقم ٢٤ ميدان الفلكى